من أساليب الدعوة ووسائلها
في
القرآن الكريم والسنة المطهرة

بقلم

دكتور

ابراهيم عبد الرحمن عيد

الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى . .

وبعد :

كان للنهضة الحديثة آثار بعيدة المدى فى حياة الإنسان الذى خلقه الله وكرمه وسخر له جميع ما يحتاج إليه من المخلوقات وسجل ذلك فى قوله سبحانه « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(١) وقال تعالى : «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه »(٢) .

ومن طبيعة الإنسان الخضوع لما ألف من عادات .. غير شاعر بما يكتنفه من أخطار .. تفقده الألفة إحساسه بها .

ويرى المصلح الاجتماعى هذا الإنسان مقيداً بأخطائه . . التى يتسع مداها ، وتبرز آثارها . . فيخف لنجدته من هذه الأخطار المحدقة به . .

ويأخذ الداعية الإسلامى دوره المرموق بين رجال الإصلاح . . على قدر وظيفته التى لا تنحصر فى تلبية حاجات البشر المادية ، وإنما هى بالدرجة الأولى . . تلبية أشواق الروح . . حتى تصفو من أكدارها . . لتأخذ الحياة شكلها المتسق مع حقائق الإسلام . . الذى لا حياة لما فى غيبته . .

ومن هنا كانت رحمة الله بالبشرية فأرسل إليها رسله تترى تدعو إلى تثبيت دعائم الدين بكل فضائله . . وحمايتها من كيد الكائدين . . ذاك هو

---

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠)
(٢) سورة الجاثية الآية (١٣)

جوهر الرسالات منذ كانت هناك حياته .. وهى مهمة الرسول — ﷺ — والأمة له تبع . .

يقول الحق سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم .. »(١) .

فالرسول ﷺ مأمور أن يدعو إلى مثل ما دعا إليه الرسل من قبله :

« فلذلك فادع . . » .

ثم هو مأمور كذلك أن يترجم الدعوة فى نفسه إلى عمل وسلوك :

« واستقم . . » .

ليكون بالتطبيق « أول المسلمين » .

والأمة على نفس الطريق :

والأمة الإسلامية تمضى بحكم الأسوة على ذات الطريق . . داعية إلى الخير .. ناهية عن الشر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. »(٢) .

فالأمة الإسلامية معدة منذ الأزل لتقوم بدورها المرموق وهو :

---

(١) سورة الشورى : ١٣ — ١٥

(٢) سورة آل عمران الآية : (١١٠)

السير بالحياة إلى كمالها . . وعلى كثرة الأمم التى عمرت الدنيا . . فأنتم . . بالذات : « كنتم خير أمة . . . » .

إنها لم تعش حياة تقليدية بين الناس . . لتجىء صورة عادية مكررة . . بيد أنها أعدت . . وصنعها الحق تعالى على عينه صنعا . . هيأها للقيام بهذا الدور . . بعيداً عن مألوف المجتمعات . . ثم جعل منها حادى الطريق : « أخرجت للناس . . . » .

لقد جاءت فريدة متميزة . .

لأنها تأمر بالمعروف . . وتنهى عن المنكر . . وتؤمن بالله تعالى . . ولا تقف بها الآمال عند حد . . ولا يهدأ منها البال يوما . . إلا إذا هيمنت شريعة الله . . فى هذا العصر الذى نشط فيه الباطل وحشد حشوده . . وجند جنوده . فى محاولة لقطع الطريق على الحق . .

وعلى الدعاة إلى الله أن يعودوا إلى منهج الحق فى الدعوة . . فإن الحكمة والموعظة الحسنة ما زالت أمثل الطرق إلى التأثير فى قلوب الجماهير الغفيرة التى تخلط عملا صالحا وآخر سيئاً . .

رجال الدعوة مطالبون بجذبهم إلى قافلة الإيمان قبل أن تتخطفهم جنود الشيطان . .

وكان رسل الله سبحانه هم القائمون بالدعوة إليه وعليهم أن منهج الدعوة فى قوله سبحانه لخاتمهم ﷺ : « أدع إلى سبيل ربك . . بالحكمة . . والموعظة الحسنة . . وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »[1] .

---

(١) سورة النحل / ١٢٥

ولكى تحقق الدعوة أهدافها . . وتؤتى ثمارها.. فى كل زمان ومكان فلابد من السير على هذا النهج الذى رسمه الله لرسوله الكريم ولكل من تحمل عبء المسئولية من بعده ، يتضح ذلك فى قوله عز وجل خطابا لرسوله وللدعاة من أمته : « قل : هذه سبيلى أدعو إلى الله .. على بصيرة أنا ومن اتبعنى .. وسبحان الله وما أنا من المشركين »[1] .

لذلك كان لزاما علينا أن نقف على بيان بعض الأساليب والوسائل التى لابد من معرفتها وتطبيقها قولا وعملا .. لتؤتى الدعوة ثمارها .

• • •

أولا : الأسلوب :

هو عرض ما يراد من قضايا . . أو معان .. ومبادىء .. وأحكام . . الخ فى عبارات وصيغ تتضمن الدلالة على ما يراد من إعلام الناس به . . وحثهم عليه إيجابا أو سلبا . . مع توفر الخصائص المحققة للهدف منه . . وهذه الخصائص هى :

• بلاغة الأسلوب..ومراعاته لمقتضى حال المخاطبين ، وسوقه لمختلف القضايا مرغبا لها فيما يريد ومنفرا لها مما يضر .. وذلك عن طريق مخاطبة العقل .. وإستخدام المنطق فى ضرب الأمثال ، وسرد القصص ، ليجلى الغامض ، ويوضح المبهم .

وهو فى كل ذلك مبرأ من كل عيب . . بعيداً عما يسىء فى ألفاظه أو عباراته .

وذلك يقتضى إجادة المعرفة بالمخاطبين : عقائد . وطباعا .. وعادات

---

(١) سورة يوسف /١٠٨

ليقدم لهم ما يتناسب وحالهم بالحجة القوية .. والبرهان الساطع .. فيكون الإقناع العقلى والقلبى . . وتحريك الوجدان نحو الحق والخير .

ثانيا : الوسائل :

وأما الوسائل فهى الحاملة للأساليب . . الموصلة لها فقد كانت قبل الإسلام تختلف من أمة إلى أمة :

• فعند اليونان : كانت تعتمد على الصور والتماثيل بجانب العبارة اللغوية ملفوظة أو مكتوبة . . وكذلك الحال عند الرومان .

• وعند قدماء المصريين : كانت تعتمد أكثر ما تعتمد على النقوش والحفر .. والنحت . والآثار الموجودة الآن خير شاهد على ذلك .

• وعند العرب فى الجاهلية : كانت الوسائل متنوعة ما بين شعر وخطابة . . ورحلات .. وأسواق . . والكتابة اليدوية فى الرقاع وعلى الاحجار وغيرها .

• فى ظل الإسلام :

ولما جاء الإسلام كانت له وسائله المتنوعة لنشر الدعوة إليه بالاساليب التى قررها منهجا لدعوته .. أمرا أو نهيا .

وله فى ذلك قاعدة أصيلة هى :

(أ) إذا كان الأسلوب فى الأمر أو النهى يتعلق بقاعدة من قواعد التصور الإيمانى . . أى بمسألة اعتقادية . . فإن الإسلام يقضى فيها قضاء حاسما منذ اللحظة الأولى . . فلا مجاملة .. ولا مساومة .

فقضية التوحيد والشرك : قد أمضى الإسلام أمره فيها منذ اللحظة

الأولى فى موقف حازم .. جازم لا تردد فيه ولا مهادنة فقال سبحانه وتعالى : « والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »[1] .. ثم قال لرسوله آمرا أن يعلنها صيحة واضحة : « قل يا أيها الكافرون .. لا أعبد ما تعبدون .. ولا أنتم عابدون ما أعبد .. ولا أنا عابد ما عبدتم .. ولا أنتم عابدون ما أعبد .. لكم دينكم ولى دين » سورة الكافرون/١٠٩/٦ لأن تلك (قاعدة إيمانية) أساس لا يصلح إيمان بدونها .. ولا يقام بغيرها إسلام .

(ب) أما إذا كان الأمر والنهى يتعلق بوضع اجتماعى .. أو عادة .. أو تقليد .. فإن الإسلام يتريث ويأخذ المسألة بالرفق واليسر والتدرج .. مثل :

تحريم الخمر .. وفرضية الصلاة .. والزكاة .. وكذلك الجهاد وغير ذلك كثير مما سنتعرض لبعضه .

قاعدة الإسلام فى الدعوة :

من قواعد الإسلام الاصيلة فى الدعوة ما جاء فى قول الله سبحانه : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة .. والموعظة الحسنة .. وجادلهم بالتى هى أحسن .. » [الآية ١٢٥ سورة النحل] .

فما هى الحكمة ؟.. وما هى الموعظة الحسنة ؟.. وما هو الجدل بالتى أحسن ؟.. هذا ما سنتعرض له بشىء من الإيضاح :

أولا : الحكمة فى اللغة : يتسع مفهوم الحكمة فى اللسان العربى لمعان كثيرة .. نطلق ويراد منها : العدل .. والعلم .. والحلم .. والنبوة .. والقرآن

---

(١) سورة البقرة/١٦٣

والسورة منه . . والكلام الموافق للحق .. ووضع الشيء في موضعه»[1] .

وقيل : الحكمة : هي المقالة الصحيحة المحكمة .

وقيل : هي الدليل الواضح للحق المزيل للشبهة . . أو المعرفة بمراتب الأفعال .

وقيل : هي الحجة المفيدة لليقين.. وقيل هي معرفة الحق والعمل به[2].

وفي مختار الصحاح : الحكيم : العالم وصاحب الحكمة ، والحكيم : المتقن للأمور .

وعلى ضوء ما تقدم يتضح سعة الكلمة لمعان كثيرة متعددة .

وتطلق على العالم .. والحليم . . والنبي ، لأن هؤلاء يضعون الشيء في موضعه . . ولا يقولون إلا الحق . . قال تعالى : «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»[3] .

ثانيا : الحكمة في الاصطلاح :

كما أن للحكمة في اللغة معان كثيرة فهي كذلك في الاصطلاح لاتقف عند حد واحد .. فقد فسر ابن كثير: الحكمة على أنها ما أنزله الله رسوله ﷺ من الكتاب والسنة :

وذكر الإمام فخر الدين الرازي : أن الحكمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه :

الوجه الأول : تأتي الحكمة ويراد منها مواعظ القرآن الكريم

---

(١) القاموس المحيط جـ٢ ص ٩٨

(٢) المصباح المنير ، وانظر مختار الصحاح

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩

واستشهد بقول الله عز وجل ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به »[١] ، فواعظ القرآن لا تقف عند حد .

الوجه الثانى : أن الحكمة تأتى بمعنى النبوة ثم ذكر قول الله تعالى : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما »[١] فالمراد بالحكمة هنا النبوة .

الوجه الثالث : تأتى الحكمة ويراد منها القرآن الكريم بما فيه من عجائب وأسرار .. كما فى قول الله عز وجل : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة »[٣] فالمراد بها هنا القرآن الكريم كله فهو كلام الله سبحانه غاية فى الحكمة .

الوجه الرابع : تذكر الحكمة ويراد منها : العلم والفهم كما فى قوله سبحانه : « ولقد آتينا لقمان الحكمة .. »[٤] أى الفهم والعلم .

ويقول الإمام العينى فى شرحه لحديث رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » قال : والمراد من الحكمة : معرفة الأشياء التى جاء بها الشرع ، وهى تدل على علم دقيق محكم ، وتعليمها كمال على ، والقضاء بها كمال عملى[٥] .

من خلال ما تقدم يتبين أن الداعيه إلى الله تعالى : رجل حكيم ، يضع لكل داء دواء ، ولكل مقام مقالا ، لا يسوى بين العالم الجاهل ، ولا بين الحاضر والبادى ، إنه صاحب القول السديد ، والتصرف الرشيد .

---

(١) سورة البقرة /٢٣١ (٢) سورة النساء /٥٤

(٣) سورة النحل /١٢٥

(٤) سورة لقمان/١٢ ، ويراجع مفاتيح الغيب جـ ٥ ص ٥٨

(٥) عمدة القارى جـ ١٢ ص ٥٦ ، ٥٨ بإيجاز وتصرف

والكلمة الزاجرة ، والعظة النافعة[١] ، بما فهم من كتاب الله جلت قدرته الذى يتلو آيات الكائنات فى مسجد الكون الكبير ، فلننصت إليه ، ولنعمل بهديه الحكيم .

نعم إن الكلام كلام الله ، فهو الحق .. وهو الذى يظهر الحقيقة ، وينشر آيات الحكمة ، لذلك كانت الحكمة سلاحا من أسلحة الداعية التى لاغنى له عنها لمواجهة جميع المواقف .

ثانيا : الموعظة الحسنة :

من أساليب الدعوة إلى الله : الموعظة الحسنة :

وهى طريقة فى التبليغ سلكها رسول الله ﷺ واتخذها منهجا يحبب فى الدعوة ولا ينفر منها .. ويقرب القلوب إليها ولا يبعدها عنها ، ييسرها ولا يعسرها .. كما علمه الله جلت قدرته .

فكلمات موعظته الحسنة تدخل إلى القلوب برفق ، وتتعمق فى المشاعر بلطف ، لأنها تبتعد عن الزجر والتأنيب فى غير موجب ، فتقرب القلوب النافرة ، وتوحى إلى المدعو أنه أمام دعوة تفيض بالحب والحنان ، والحياة النابضة بالروح الإيمانى الخير[٢] .

وللقارىء أن يقف على معناها اللغوى واصطلاحى حتى يفرق بين ماهو واقع وما هو واجب .. حيث جاءت الموعظة الحسنة فى اللسان العربى على نحو مايلى :

---

(١) الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة ص ١٢٧/د محمد رجب البيتوى .

(٢) أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم / محمد حسين فضل الله ص ٥٢ وما بعدها بتصرف .

ورد : وعظ وعظا وعظة وموعظة : ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ[١].

وقيل : الموعظة أصلها من وعظ .. والوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب ، وهو مايرفق القلب ويميله نحو الطاعة من قول أو فعل[٢].

وفسرها ابن كثير بقوله: والموعظة الحسنة: هى ما فى كتاب الله وسنة رسوله من الزواجر والوقائع بالناس وتذكيرهم بها ليحذروا بأسه تعالى.

إلى غير ذلك كثير .

وفى الاصطلاح : فالموعظة هى القول الذى يلين القلوب، ويؤثر فى النفوس ، فيكبح جماح الشارد منها، ويزيد المهذبة منها إيمانا وهداية وجمالا.

وقيل : هى النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل[٣].

ولما كان القرآن الكريم ، كتاب الدعوة إلى الله تعالى هو الموعظة الكبرى من الله لعباده .. لما تضمن من عبر وعظات، وآيات بينات[يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين] سورة يونس/٥٧

يقول ابن السماك لمن سأله الموعظة : «كفى بالقرآن واعظا»[٤] ثم قرأ عليه قول الله تعالى : [ألم تر كيف فعل ربك بعاد — إرم ذات العماد —

---

(١) القاموس المحيط جـ٢ صـ ٣٠٠

(٢) مختار الصحاح للجوهرى .

(٣) هداية المرشدين صـ ٦٩ ، الشيخ على محفوظ.

(٤) العقد الفريد جـ ١ صـ ٢٩٩

التى لم يخلق مثلها فى البلاد — وثمود الذين جابوا الصخر بالواد — وفرعون ذى الأوتاد — الذين طغوا فى البلاد — فأكثروا فيها الفساد — فصب عليهم ربك سوط عذاب — إن ربك لبالمرصاد](١)،

وإنما كان القرآن الكريم الموعظة الكبرى لأن عظاته جاءت شاملة كاملة لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من العقائد والشرائع والمبادىء والتعاليم التى توافق وتلائم الطبائع المختلفة إلا ذكرها ..

ولاعجب فى ذلك فهو كلام الخالق العليم بما يصلح خلقه «ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير»(٢).

فهو إذن يحوى ويشتمل على أشرف المواعظ وأحكمها وأبلغها قال سبحانه : «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»(٣) وقال عز وجل : «قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهـــدى ورحمة للمؤمنين»(٤).

ومواعظ القرآن متنوعة منها :

ما يكون تعليميا لبيان أحكام الشريعة وعقائد التوحيد .

ومنها ما يأتى تأديبيا يدعو إلى الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة .

ومنها الذى يأتى على هيئة وصايا عظيمة كما جاء فى وصية لقمان لابنه ووصية الإنسان بوالديه .

---

(١) سورة الفجر/٦ — ١٤ (٢) سورة الملك/١٤
(٣) سورة آل عمران/١٣٨ (٤) سورة يونس/٥٧
(٥) العقد الفريد حـ ١ صـ ٢٩٥

وتارة يأتى على هيئة قصص يقص علينا أخبار السابقين من الأمم مع رسلهم كما فى سورة هود، ويوسف، والنمل .. وغير ذلك كثير.

وقد رتب صاحب العقد الفريد المواعظ على حسب شرفها وأحكمها وأبلغها.

فذكر آيات من القرآن الكريم أولا ثم قال: فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .. ثم مواعظ الأنبياء .. ثم مواعظ الآباء للأبناء[1].

ويقسم الشيخ على محفوظ الوعظ القرآنى إلى قسمين:

الأول: التعليم: وهذا يكون ببيان عقائد التوحيد مراعيا فيه ماينا سب كل طبقة. وبيان الأحكام الشرعية الخمسة من: الفرض — والواجب — والحرام — والمكروه — والمباح مقرونة بحكمة التشريع، ومشفوعة بالحث على التمسك بها والتحذير من التهاون فيها.

الثانى: التأديب: ويكون بتحديد الأخلاق الخمسة، كالحلم — والشجاعة — والوفاء .. وغير ذلك مع بيان آثارها فى المجتمع الإنسانى والحث على التخلق بها. وتعريف الأخلاق السيئة كالغضب — والجبن — والغدر .. وغيرها مع شرح مضارها والتحذير من الاتصاف بها عن طريق الترغيب والترهيب[2].

وعلى الداعية الاستفادة من ذلك وحسن استخدامها فى مواقفه

---

(١) العقد الفريد جـ ١ ص ٢٩٥

(٢) هداية المرشدين ص/ ١٣٥، وانظر كتاب الدعوة الإسلامية فى العهد المكى ص ١٨٧ — ١٩٠ د/ابراهيم عثمان.

وممارسته للدعوة فلكل مقام مقال ولايخفى علينا ما للكلمة الطيبة من أثر في نفوس السامعين .. لتؤدي دورها كأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى وقديما وعلى أرضنا هذه الطيبة — أسلم سحره فرعون وهم أكثر من عشرة آلاف — عن طريق كلمة طيبة كشجرة طيبة من قبل موسى عليه السلام.

ثالثا : الجدل بالتي هي أحسن : ومن أساليب الدعوة الجدل بالتي هي أحسن .

والجدل في اللغة : كما ورد في القاموس المحيط ، الجدل محركة، اللدد في الخصومة والقدرة عليها[1] والمجادلة ، المناظرة والمخاصمة ومنه سورة المجادلة في كتاب الله ، قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها .. ؟ أول السورة.

وفي الاصطلاح : يقصد به : الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم — المجادلة — وهو نوعان :

(أ) مذموم : وهو ما كان بغرض العناد في الخصومة .. لا لطلب الحق بل يجادله بالباطل.

وقد ذم الله سبحانه هذا النوع خاصة ما كان بين الأقوام لرسلهم في قوله عز وجل : « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا[2].

---

(١) القاموس المحيط ص ١٢٦ ، ١٢٦١ ط ٢ مؤسسة الرسالة/بيروت ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م.

(٢) سورة غافر من الآية/٤

وقوله سبحانه : « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين ..»[1] .

(ب) جدل ممدوح : وهو جدل يراد به المناقشه لإظهار الحق، وذلك من أسمى الفضائل الإنسانية، وقد مدح الله سبحانه هـــذا النوع وأمر رسول الله — ﷺ — به فى منهج الدعوة وأسلوبها بقوله : «... وجادلهم بالتى هى أحسن ..»[2] وقوله جلت قدرته : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن..»[3] .

وهذا النوع هو المراد فى الدعوة ..وهو منهج رسل الله وأسلوبهم فى الدعوة إلى الله —عز وجل— وقد التزم به رسول الله — ﷺ — وطبقه وأمر الله الأمة بالاقتداء به والدعاة خاصة فى قوله سبحانه : قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا .. ومن اتبعنى . وسبحان الله وما أنا من المشركين»[4] .

ولذلك يتقرر أن الجدل بالتى هى أحسن .. صفة الكلمة التى ينبغى الداعية أن يستخدمها مع هذا الفريق من الناس ، لأنه ذيل للمخالف .. ولا تقبيح لفكره ما دام مقصده الوصول إلى الحق .. لتصل الدعوة نقية صحيحة إلى الناس .

وليس هدف الداعية فى ذلك شهرة « أو غلبة » أو مخاصمة .

لكن إقناع موصل إلى الحق فى قالب كلمة طيبة هادئة .. بعيداً عن الانفعال والتجريح والتقليل من قيمة الرأى المخالف .. ليشعر المجادل بأن

---

(١) سورة الأنفال من الآية / ٦
(٢) سورة النحل من الآية / ١٢٥
(٣) سورة العنكبوت من الآية / ٤٦
(٤) سورة يوسف الآية / ١٠٨

ذاته مصونة . . وقيمته محفوظة . . وكرامته موفورة .. وأن ما يقصده الداعية من مجادلته هذه هو كشف الحقيقة فى ذاتها والاهتداء إليها حسبة لله تعالى ، لا ابتغاء نصر لرأيه .. وهزيمة للرأى الآخر .. وجاءت «بالتى هى أحسن» بمثابة قيد مهم جداً غفل عنه المسلمون فوقعوا فى شباك مكيدة كانت مبيتة للأمة الإسلامية تواطأ عليها أعداؤهم من خارجها ومن داخلها حتى أضناها الخلاف .. وضيعها التشدق والجدال[1] .

والقرآن الكريم فى دعوته يلاحظ الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول .. ويتحرى إلى أن يصل إلى النفس البشرية من منافذ التأثير فيها .

ولما كان من الناس طائفة من أصحاب اللدد والخصومة والجـــدل والمعاندة .. تشكك فى كل خير .. وتثير الشبهات ، وتلبس على الناس .

فهؤلاء يتجه إليهم القرآن الكريم بالدعوة بالحسنى .. فيخاطب عقولهم بالمنطق ، والحجة والدليل ، ويقطع عليهم طريق الاعتذار العقيم[2] .

لذلك جاءت أساليب الدعوة فى القرآن الكريم متنوعة :

• الترغيب والترهيب :

الإنسان بفطرته يحب لما ينفعه .. ويبغض لما يضره ، لذلك دعا القرآن إلى الخير ورغب فيه .. ونهى عن الشر ونفر منه . . فقال سبحانه : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى .

---

(١) التفكير فريضة إسلامية ص ٤٠ — ٤٣ ، وانظر الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ص/٣٤٩

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهـــاجا ص/١١٠ — ١٤٦ بتصرف .

وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .. وما يغنى عنه ماله إذا تردى »[١] .

ثم يبين القرآن فى تبليغه أن الإيمان بالله تعالى وتقواه سبب فى نزول الخير . والكفر سبب فى إحاطة الضر والشر .. قال سبحانه : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »[٢] .

ويعرض القرآن الكريم صوراً من الوعد والوعيد، فى الوعد ما يرغب فى الخير ، وفى الوعيد ما ينفر من الشر ، قال تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابية . إنى ظننت أنى ملاق حسابية . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »[٣] .

هذا فى الوعد ويقابله فى الوعيد قوله سبحانه : « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابية . ولم أدر ما حسابية . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانية . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه »[٤] .

هكذا يرغب القرآن فى فعل الخير لما يترتب عليه من ثمار تتشوق إليها النفس البشرية . ويقابل ذلك بالترهيب من كل شر لا يرتضى نتائجه عاقل لنفسه .

---

(١) سورة الليل الآيات / ٥ — ١١

(٢) سورة الأعراف / ٩٦

(٣) سورة الحاقة الآيات / ١٩ — ٢٤

(٤) سورة الحاقة الآيات / ٢٥ — ٣٢

• من أساليب القرآن كذلك التدرج :

من المسلم والبديهي أن الأمور لا تأتي دفعة واحدة لأن النفس البشرية تضعف عن امتثال ذلك لا سيما إذا كان عكس ما ألفت وتعودت .

لذلك كان التدرج سمة من سمات الدعوة ، حيث يبتدىء في فرض التكاليف بالأخف ثم ينتقل إلى الخفيف .

• فنلاحظ في الصلاة مثلا : يؤمر بها في بادىء الأمر مع السكوت عن حكم الكلام فيها .

ثم تأتي مرحلة النهي عن الكلام في الصلاة ، ويجعل الكلام من مبطلاتها .

• وفي الإنفاق نجد الأمر فيه أولا جاء على وجه التطوع .

ثم جاء على وجه الفرضية والانتقال إلى مرحلة فرض الزكاة .

• كذلك في تحريم الخمر والميسر : بدأ بتحريك الوجدان الديني . والمنطق التشريعي في نفوس المسلمين .. بأن الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع .. وفي هذا إيماء بأن تركها أولى .. فقال سبحانه : « يسألونك عن الخمر والميسر . قل فيهما إثم كبير . ومنافع للناس . وإثمهما أكبر من نفعهما »[1] .

ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء في قول الحق تبارك وتعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »[2]

والصلاة في خمسة أوقات .. معظمها متقارب لا يكفي ما بينهما السكر والإفاقة ؟ وفي هذا تضييق لفرصة المزاولة العملية لعادة الشرب... وكسر لعادة الإدمان التي تتعلق بمواعيد التعاطي ؛ إذ المعروف أن المدمن يشعر

(١) سورة البقرة من الآية / ٢١٩

(٢) سورة النساء من الآية / ٤٣

بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدر في الموعد الذي اعتاد تناوله، فإذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترت حدة العادة وأمكن التغلب عليها .

حتى إذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهي الجازم الأخير بتحريم الخمر والميسر في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . فاجتنبوه لعلكم تفلحون »[1] .

وهكذا كل ما يتعلق بحياة المسلم ... منهج تربية إسلامي قرآني[2] .

● أسلوب القصص وضرب الأمثال :

في القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من هذه الأساليب التي تهدف إلى تقريب المعنى للسامع وكشف ما به من غموض فمثل من أشرك مع الله تعالى غيره في العبادة في ضعفه كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت وهن ضعيف حيث لا يمنع هذا البيت عنها حراً ، ولا يدفع عنها برداً ، ولا يحقق لها وقاية من الغوائل مثل البيوت القوية المألوفة ، والأوثان كذلك وما في حكمها : لا تنفع عابديها في الدنيا ولا في الآخرة .

يصور ذلك تصويراً دقيقاً وجميلا رائعاً قول الله عز وجل : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء . كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »[3] .

والأمثال في مثل ذلك كثير منها :

١ — ما يضرب له المثل : (بأن من جهل شيئاً عاداه) يصور ذلك قوله تعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله »[4] .

---

(١) سورة المائدة الآية / ٩٠

(٢) راجع في ظلال القرآن مجلد أول ص٢٢٩، وانظر الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقدماتها ص١٩٢ د/ أبو المجد نوفل ط ٢ .

(٣) سورة العنكبوت الآية/ ٤١ (٤) سورة يونس الآية/ ٣٩